مشاهدة العنف تأثير الأفلام على الجمهور

الأزرق بن علو

يقول رأى قديم بأن التمثيل على المسرح يساعد المشاهدين ، بفعل اندماجهم مع الممثلين والحوادث الجارية على المسرح ، على اشباع بعض انفعالاتهم المكبوتة ، دون احداث ضرر او المساس بالامن . ذلك أن المسرحية بما تثير حوادثها من خوف وشفقة واغراء ،، تطهر المتفرجين من مثل هذه الانفعالات .

أما اليوم ، وقد مكنت دور السينما والتلفزة ملايين الملايين من مشاهدة عمليات العنف ، فقد أصبح العلماء والمسؤولون يتساءلون عن تأثير ذلك على الحياة الاجتماعية .

تقول وجهة نظر بأن مشاهدة عمليات القسوة والوحشية مفيدة لانها تطهر نفس المتفرج من نزعة الاعتداء وتمكنه من اشباع رغبته في الانتقام ممن تسببوا في فشله ، باستعمال خياله ، ومن طريق الاندماج مع ما يجرى على الشاشة .

وهناك اتجاه آخر يؤكد بأن أفلام العنف مدرسة للجنوح . فالمنحرفون يتأثرون بسهولة بما يشاهدون من وحشية على الشاشة . والشباب ينقاد للمغريات ويميل للتعبير عن انفعالاته بصفة عدوانية عندما تزين له الافلام ذلك ، تكسوه بمظهر الشهرة والبطولة.

ولجأ بعض العلماء الى مخابرهم فبحثوا وجربوا وكان مما استنتجوا :

1 ــ امكانية القول بأن مشاهدة اعمال العنف على الشاشة هى أقرب الى الاغراء بالاعمال العدوانية منها الى اشباع الميول الاعتدائية لدى الشخص.

2 ــ أن هناك متضمنات اجتماعية للتجارب التى قاموا بها ، تتعلق هذه المتضمنات بالمغزى الاخلاقى الذى يهدف اليه الفيلم .

ويدعى المنتجون لهذا النوع من الافلام أن الهدف هو اقناع الجمهور بأن عاقبة الاعتداء لا تحمد وأن المعتدى لابد ان يلقى جزاءه . ويقولون أن اقبال جمهور المتفرجين على مشاهدة افلام العنف دليل على تقبلهم لمبدا العين بالعين والسن بالسن ، الذى يطبق على الشاشة . كما أن هذا النوع من القسوة « العادلة » تسمح لهم بالترويح على انفسهم والتعبير على انفعالاتهم بالاندماج مع القصة .

غير أن الوقائع تظهر بأن مشاهدة عمليات وحشية على الشاشة لا تتوقف عند هذا الحد من البراءة والخيال . انها كثيرا ما تؤدى الى نشاطات تضر بالامن ويذهب ضحيتها الابرياء . فأفلام العنف وان كانت توحى بأن المعتدى يدفع ثمن اعتدائه ، فان المغزى الواضح هو أن اعمالا وحشية تقابل بالقتل والانتقام . ولا يخفى ما فى ذلك من تبرير للعنف كوسيلة لحل المشاكل والقضاء على الخصوم .

تعرض قصة على شاشة التلفزة ، وهى تشتمل على بطل ومجرم ، أو ظالم ومظلوم أو سلطة وجماعة متمردة ،، وبعد الملاحقة والكر والفر واطلاق الرصاص وتبادل الكلمات ، تنتهى القصة بانتصار الحق والعدالة . فليس فى هذا ، ظاهريا ، ما يشجع المجرم بصفة مباشرة على الاستمرار فى عملياته . ولكن الخطر يكمن فى أن محتوى الفيلم يرفع معنويات عدد من المشاهدين ممن يظنون انفسهم مظلومين أو محرومين فيزداد الحماس ويصبح البعض اكثر استعدادا للانتقام .

كما ان مثل هذه الافلام تفتح مجالات للمنحرفين وتزيد فى ميل من لهم ميل أو استعدادات نفسية للقيام بأعمال عدوانية .

ولا يخفى ما لبعض الكتاب من امكانيات يستثيرون بها خيال المتفرجين ، وهم يتفننون فى اختراع الحيل المغرية والمشاهد المؤثرة . وقد سمعنا عن أشخاص قاموا بعمليات عدوانية بعد مشاهدتها على الشاشة .

من ذلك ما نقلته احدى الجرائد الامريكية من ان ثلاث مراهقين قبضوا على طفلة فوضعوا منديلا فى فمها وربطوها الى شجرة وتركوها .

وأجريت تجارب على الاطفال ، عرض فى احداها فيلم كارتون يتضمن مشاهد عنف ووحشية على عدد من الاطفال فى سن الخامسة . وبعد الفيلم مباشرة قدمت لهم لعب متنوعة فأظهر الاطفال نشاطات عدوانية اكثر من المعتاد تجاه لعبهم . ونحن نعرف أن الاطفال يقلدون فى بعض الاحيان ما يشاهدون على الشاشة كما يقلدون الكبار فى حياتهم اليومية .

أما بخصوص البالغين فقد أجريت تجارب منها التالية

أخذت مجموعتان من العاملات فى أحد المستشفيات وعرض على الاولى فيلم يحتوى على مشاهد عنف متعددة وعلى الثانية فيلم خال من اى عنف ، وبعد تكرار التجربة مع مجموعات اخرى لاحظ الخبير بأن بعض افراد المجموعة الاولى كن يظهرن مشاعر عدوانية ويعاملن من يعاكسهن بخشونة خلال فترة قصيرة تتبع مشاهدة الفيلم .

وفى تجربة أخرى عرض خبير فيلما يتضمن حوادث عنف ووحشية على مجموعة من الرجال وترك مجموعة اخرى محايدة من أجل المقارنة . ثم طلب من أفراد المجموعتين انزال عقوبات على شخص صوره لهم بأنه مجرم . وكان العقاب يتمثل فى تصويب شحنات كهربائية « للمجرم » المزعوم . وكانت الشحنات الكهربائية لا تصل للشخص الجالس الى طاولة فى نهاية القاعة بل الى آلة تسجيل . وكانت النتيجة أن وجهت المجموعة التى شاهدت فيلم العنف شحنات اكثر وأقوى قصد انزال العقوبة بالمجرم .

ويستخلص من ذلك ان نوازع الفرد الاعتدائية تستمر حتى بعد مشاهدة عمليات عنف ، رغم ما قد يحصل عليه المتفرج من متعة . فالنزعة نحو الانتقام لا تزول حوادث وحشية تمثل على الشاشة . ففى القصة نشاهد شخصا يقسو على شخص لا علاقة للمتفرج به . كما لا يكفى الانسان عندما يكون ساخطا أو غاضبا أن يفرغ سخطه على شخص برىء ، اذ لا بد ، لاشباع الرغبة العدوانية ، من الانتقام ممن كان سببا لمتاعبك . وهذا يضعف رأى القائلين بأن مشاهدة العنف تفيد فى الاقلال منه أو القضاء عليه .

ومن جهة أخرى لا يجوز القول بأن كل فيلم يحتوى على مشاهد وحشية هو غير صالح . بل يجب اعتبار نوع العنف ودرجته ومدى تكراره ومغزاه ودرجة ثقافة ونضج المتفرج .

ونحن نلاحظ فى الواقع انه ليس كل شخص يشاهد فيلما من هذا النوع يقوم بأعمال عدوانية . فالقصة تثير الميل . ولا يتحول الميل الى اعتداء الا اذا وجدت الظروف المساعدة .

اننا نعيش فى عالم كثرت فيه الاعتداءات وحاولت فيه الدول القوية استغلال العنف للتسلط على غيرها . وليست حروب الفيتنام والجزائر وغيرها ببعيدة . وقد شاهدت الشعوب الكثير من الاعمال الوحشية على شاشة التلفزيون . شاهدوا المظاهرات والقتل والتدمير . وما زلنا نقرأ عن شرور الاسلحة الفتاكة وقد زاد ذلك من قلق الانسان اذ أنه أصبح يملك القدرة على تدمير الحياة فوق الكرة الارضية فى ساعات .